"ليس كل ما يلمع ذهبًا": قراءة في ومضة "بريق" لهيفاء حمودة

عصام الشريف، مصر

بريقٌ

بكتْ قصةُ عشقي على نفسها، ابتسمتُ لخلاصي منها، فقد اكتشفت زيفها.

عندما نفتح النص من بابه "بريق"، نجد أن البريق من البرق وفي دليله الضوء الباهر وانعكاس الضوء وارتداده من سطح ما، ربما هذا الضوء الباهر هو ما يجعلنا نغمض أعيننا لنرى، "دكتور جمال الجزيري :الومضة هي أن تغمض عينيك لترى."

النص الذي أمامنا مكون من ثلاث جمل، الأولتان عبارة عن لوحتين نستطيع تخيلهما كلوحتين مرسومتين بريشة فنان، ونستطيع تخيل شخوصهما، الشخصية الأولى "قصة عشق تبكي نفسها"، وهي قصة عشق نستطيع أن نحدد أصحابها، فالراوي/ة صاحبة القصة وهذا ما نراه في ضمير الملكية "الياء"، والراوي هنا مشارك في الحدث يرويه من منظوره هو، الطرف الآخر مغيب تماما من الومضة، فاي قصة عشق لها طرفان، لكننا هنا لانلمح الطرف الثاني إلا من خلال أثره في تكوين قصة العشق هذه، دون أي أثر له غير ذلك، البكاء على النفس في دليله النعي، وكأننا هنا

أمام لحظة وداع ورحيل، ونهاية لقصة عشق عرفت مآلها ومصيرها...وهي تغادر حياة الراوي\ة، ولعلنا حتى هذه اللحظة نتعاطف مع من يبكي ونأسى لحاله، وخصوصا من يبكي نفسه.

ولكن الجملة الثانية جملة صادمة، فالراوي/ة لا يشاركنا هذا التعاطف، بل يقابل هذا البكاء بابتسامة! هنا الصدمة.. أو اللوحة الثانية ابتسامة الراوي مقابل البكاء..تدفعنا للتساؤل كيف لا تتعاطف مع القصة الباكية نفسها؟ ولم؟ وماذا حدث؟..هذه الأسئلة تدفعنا للبحث عن إجابة والانتقال للجملة الثالثة لكشف النقاب عن السبب في هذا التناقض، الجملة الأخيرة جاءت تقريرية خالية من الحدث تقرر فيها الراوية أنها اكتشفت زيف القصة..

كنتُ كقارئ أفضل أن تترك لنا المبدعة أن نستشف نحن هذا بدلا من تقريره وذلك من خلال شحن هذه الجملة بحدث، وهذه الملاحظة لا تقلل من جمالية الومضة والسرد ولا اللغة السلسة دون تعقيد وهي لغة معاصرة ومستخدمة في حياتنا اليومية..

obeikandl.com